الباب الرابع

أخلاقيات العمل

الفصل الأول: أهمية الأخلاق في الحياة عامة وفي الأسواق خاصة.

الفصل الثاني: أربعة طرق يعرف الإنسان بها عيوبه.

الفصل الثالث: كيف تكسب الأخلاق الحسنة.

الفصل الرابع: ثمرات مكارم الأخلاق.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

أهمية الأخلاق في الحياة عامة وفي الأسواق التجارية خاصة

* ينظر القضاء في بلد عربي بقضية تزوير وتلاعب حصلت في مركز فحص الإيدز تم خلالها تزوير تحاليل حوالى (مئتي) شخص بالتعاون مع مكتب سياحي كان يعمل على توفير رحلات سفر سياحية لهؤلاء المرضى.

* ألقى رجال الشرطة القبض على الموظف المسؤول عن قمع السرقات في شركة الكهرباء العامة في بلد عربي متلبساً بالعديد من عمليات سرقة الكهرباء.

* ألقي القبض على (مئتين وخمسين) شخصاً متورطين في عمليات تلاعب في نتائج مباريات في عدد من الدول الأوروبية.

* صرَّح رئيس جمعية (أطباء ضد التعذيب) أن الأطباء الذين شاركوا في برامج وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية انتهكوا القوانين والأنظمة المرعية للمهنة، وجلبوا العار لمهنة

obeikandl.com

الطب، وذلك أنهم شاركوا بأنفسهم في تعذيب السجناء العرب والمسلمين.

* ألقي القبض في بلد آسيوي على اثنين من قراصنة الإنترنت سرقا (ستة وستين وثلاث مئة) ألف دولار من حسابات مصرفية عبر الإنترنت.

* الفساد يكلف روسيا خمسة عشر مليار دولار سنويًا.

* مدير مصرف وأحد موظفيه يختلسان من البنك ما يقارب المليون ونصف المليون دولار خلال عام.

من أجل كل هذه الأمور بدأت جمعيات رجال الأعمال في العديد من الدول بإنشاء مراكز لتدريب رجال الأعمال على أخلاقيات العمل، كما أَخَذَتْ تَصدُرُ اليوم مجلاتٌ ونشراتٌ، وتُنَظَّمُ مؤتمراتٌ وحلقاتُ نقاش تعنى بأخلاقيات العمل، وتعلو أيضاً صيحاتُ طائفةٍ من الاقتصاديين لتقول: (**الأخلاق فوق الاقتصاد**)، فليس للاقتصاد معنىً ولا قيمة ولا فائدة بغير أخلاق وقِيَم إنسانية، لذلك عَمَدَت الجامعات في زماننا هذا إلى تدريس مواد تهتم بالأخلاق لكل مهنة واختصاص، كمُقرَّر أخلاقيات الطب في كُلِّيَّتَي الطب البشري والأسنان، وكمُقرَّر آداب الصيدلة في كلية الصيدلة، وكمقرر أخلاقيات المعلوماتية في كليات الهندسة المعلوماتية، فالتوجه اليوم نحو تقديم مادة الأخلاق لأن العالم بات يئن من طغيان المادة على القيم الروحية والأخلاقية، ولأن فقدان الثقة يخيم على جميع المستويات بدءاً من الدول

والحكومات، مروراً بالشركات والمؤسسات والمنظمات، وصولاً إلى المستهلك النهائي.

صرح (بان كي مون) الأمين العام للأمم المتحدة وغيره من الدارسين والباحثين والعاملين: «**بأن سبب الأزمة الاقتصادية اليوم أخلاقيّ وليس مادياً**»، فثمة مشكلة أخلاقية هي التي أدت إلى ما حدث، ولو أن القوم جميعاً - ونحن معهم - تذكرنا أن الإسلام أمور ثلاثة: (عقيدة، وشريعة، وأخلاق)، ثم مضينا بعد ذلك نسير على نهج الإسلام لسَلِمُوا وسَلِمْنا.

لقد كانت الأخلاق والمبادئ في حقبة من الزمن محلاً للسخرية والاستغراب في المجتمعات غير المؤمنة، لكن العالم اليوم كله يبحث عن الأخلاق، وعاد أدراجه ليقول: (إن الأخلاق فوق الاقتصاد). يبحثون اليوم عن القيم والفضائل، وغداً بلا ريب سيبحثون عن الحلال والحرام، ماذا أحل الله حتى نفعل؟ وماذا حرم الله حتى ننتهي؟

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: ٨٧/ ١٤]. (قد): أداة تحقيق، يعني: تأكد أن الذي يزكي نفسه بالأخلاق الفاضلة سينجح.

وفي آية أخرى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩١/ ٩-١٠].

الفعل في الآية الأولى لازم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ (تزكى) أي: تزكى بنفسه، حسَّن أخلاقه، تأدب بآداب عالية، امتثل أوامر الله تعالى بطاعته.

أما الآية الثانية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ فالفعل فيها متعدٍّ، بمعنى: قد فاز من زكى نفسه أو زكى غيره...، قد فاز من تزكّى بالأخلاق الحسنة ومن علَّم غيره الأخلاق الحسنة...، قد فاز من تحلّى بالصفات النبيلة أو أشاع بين الناس الصفات النبيلة.

والعكس: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾، إن الذي يدسُّ نفسه في أخلاق ذميمة لا شك سيخسر.

وقد أقسم الله تعالى لذلك في هذه السورة أحد عشر يميناً، فقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩١/١-١٠].

أي: أُقسِم لكم يا عبادي أحد عشر يميناً أن من تخلَّق بالأخلاق الحسنة سينجح ويفوز، وسيربح في تجارته أكثر، وأن من خدع الناس وغدر بالناس، وباع دينه بَعَرضٍ من الدنيا قليل سيخيب.

قال رسول الله ﷺ: «**أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنّ مِن أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٤٥/ ٥٣٧/ ٢٧٥٥٥)، وابن حبان (٥٦٩٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: حديث حسن، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ٣٦٦/ ٣٣٩٥).

وقال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقًا**»[١]، وسئل رسول الله ﷺ: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنْ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم، فليسعهم منكم بسطُ الوجه وحُسن الخلق**»[٣].

ومن أجمل ما ورثنا عن آبائنا وأجدادنا وأسلافنا أقوالهم في الأخلاق العالية، «سعة الأخلاق كنوز الأرزاق»، يعني: إن أردت أن يزداد رزقك فحسِّن أخلاقك، كن أميناً، كن صادقاً، كن وفياً، كن معواناً، كن خيِّراً، كن إيجابياً.

وقولهم: «ما ارتفع من ارتفع إلا بحسن الخلق»، لا يرتفع الناس بالمال، المال المسروق لا يرفع أحداً، والمال المغتصَب لا يرفع أحداً، وسيبقى حامل هذا المال دنيِّاً ولو غُمِر بالمال غَمْراً.

وقولهم: «من ساء خلقه أذلّ نفسه»..

وقولهم: «خير الناس من فرح بالخير للناس»..

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٥/ ٤٢١/ ٩٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٤٢٨/ ٦٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولهم: «إذا ذهب الحياء حَلَّ البلاء»..

وقولهم: «المعاملة مع الله»..

وقولهم: «المركب الذي لا شيء فيه لله يغرق»..

وقولهم: «كل شريكين ثالثهم الله»..

وقولهم: «الحرام لا يثمر»...

وكثير من المصطلحات والكلمات ورثناها تنبيك عن معنى هذه الأخلاق في أسواقنا التجارية.

والجدير بالذكر أن الاقتصاد الإسلامي لا ينفك عن الأخلاق، فلا فصل بينهما أبداً، مما يجعله متميزاً على سائر النُّظُم الوضعية الأخرى، لكن اللافت في الوقت نفسه أن الجميع يتحدثون عن تدهور الأخلاق في الأسواق التجارية.

والواجب العملي في ختام هذا الفصل: أن تراعي - في عملك، في سوقك، في متجرك - خمس وصايا تعنى بالأخلاق.

أولاً: تجمل واعتنِ بثيابك ولباسك في أثناء العمل

فهذا خُلُق إسلامي يحبه الله سبحانه وتعالى، ويحبه رسوله ﷺ، وإياك أن تعتقد أن ذلك من الكبر والرياء، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل: **إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه**

حَسَناً ونعلُه حسنة، قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاس»(١).

ثانياً: استقبل طالب الحاجة (المستهلك أو المراجع أو المريض أو الموكل) بوجه بشوش

لا يليق بك كتاجر إذا دخل عليك مستهلك بسيط أن تتحدث معه بغلظة وَأَنَفَة، فقد قال الرسول ﷺ: «وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»(٢).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٣).

ثالثاً: تواضع وكن ليّن الجانب مع من حولك، سمحاً في مطالبتك بحقوقك

عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ: قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَع من شيء إلا شانه»(٤).

رابعاً: كن أميناً في إحالة هذا المراجع أو المريض أو المستهلك أو الموكل للمختص إذا لم تتوافر حاجته المطلوبة لديك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١٤٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة (١٤٤)، والترمذي (١٨٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة (٧٨)، وأبو داوود في سننه (٢٤٧٨).

لا تدع أنك تعلم وأنت لا تعلم، وقل: أنا أعتذر، فلان أكثر اختصاصاً مني في السلعة، أكثر اختصاصاً مني في هذه المادة، أكثر اختصاصاً مني في مرضك... هذا من أدب الإسلام.

أما أن تبيع ما تعرف وما لا تعرف، أو أن تتحدث بما لا تعلم ظناً منك أن هذا المراجع لا يفهم ما تقول، فقد أوقعت نفسك في محظور عظيم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ١٧/ ٣٦].

خامساً: كن وفياً بالعقود المالية مع الآخرين

وتذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٨-١١].

obeikandl.com

الفصل الثاني

أربعة طرق تُعَرِّفُ الإنسان عيوبه وأخلاقه

ترتفع أصوات كثير من الاقتصاديين في العالم بالقول: (إن الأخلاق فوق الاقتصاد)، فمن دون أخلاق لا معنى للمال ولا للعلم؛ لأن هذا التدهور الأخلاقي هو الذي سيدمر الكرة الأرضية، وقديماً قيل:

وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَت فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخلاقُهُم ذَهَبُوا

وقال بعض البلغاء: «الحَسَنُ الخُلُق: مِنْ نَفْسِه في راحة، والناس منه في سلامة، والسَّيِّئُ الخُلُقِ: الناسُ منه في بلاء، وهو مِنْ نَفْسِه في عناء».

وقال الفضيل بن عياض: «إن الفاسق إذا كان حَسَنَ الخُلُقِ خفَّ على الناس وأحبُّوه، وإن العابد إذا كان سَيِّئ الخُلُقِ ثَقُل على الناس ومَقَتُوه».

وقد سبق كل هؤلاء سيدنا محمد ﷺ حين قال: «**ما من شيء**

يوضع في الميزان أثقل من حُسنِ الخُلُق، وإن صاحب حُسنِ الخُلُق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[(١)].

ترى بعض الناس لا ينظر في عيوب نفسه وينظر في عيوب الناس، يرى القذاة في عيون غيره، ويرى قطعة الغبار الصغيرة في ثوب غيره، لكنه لا يرى جذع الشجرة في عينه ولا اللطخة السوداء على ثوبه! ولذلك خصصت هذا الفصل للحديث عن أربعة طرق تعرِّف الإنسان بعيوب نفسه، فاستقرئ هذه الطرق، واستقرئ ما فيها، واكتشف: هل فيك خلل؟؟ هل فيك خطأ خُلُقي؟؟ إن لم تَجِدْ فاحمَد الله، وإن وجدت شيئاً فسارع إلى المعالجة.

أربعة طرق تعرِّف الإنسانَ على عيوبه:

الطريق الأول: المعلم

إذا أردت أن تكتشف عيوبك فاتخذ لنفسك معلماً بصيراً بعيوب النفس والخلق، وتَتَلْمَذْ عليه، وتتبع نصائحه وإرشاداته، فقد كانت أسواقنا التجارية قديماً تحوي ما يسمونه شيوخ الكار، وشيخ الكار هذا: هو الرجل المعلم الذي تميز بإتقان صنعته وعلو خلقه واستقامة طريقته في الحياة، يرجع إليه أهل الحرفة في مسائلهم، ويتخرج على يديه الصناع الجدد والتجار الجدد والزرَّاع الجدد،

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٥٦٩٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وهؤلاء المعلمون (شيوخ الكار) كانوا ينبِّهون الرجل على عيوبه وهفواته حتى يقوّمها ويهذّبها.

ولا تزال إلى اليوم ورقة التزكية التي يأخذها الرجل من معلمه أقوى أثراً عند الجامعات الغربية من الإجازة الرسمية التي ينالها من جامعته التي تخرج فيها، فهم يسألون عن معلِّمه الذي علَّمه ومؤدِّبه الذي أدَّبه.

وبالمناسبة: في التربية الإسلامية لا بد لك من معلم ومؤدب يزكي نفسك ويريك عيوبها ورعونتها، لكن من العجيب أمر بعض شبابنا اليوم الذين يعملون بالأسواق التجارية أو الصناعية أو الزراعية أو الحرفية، فهم يسعون لينافسوا كبار السوق خلال شهرين أو خلال سنتين، فتراه يفتح محلاً جديدًا، ويأتي بالأجراء ويجلس وراء مكتبه، ويأمر وينهى، وغيره أمضى أربعين سنة في تعلم حرفته وصنعته حتى صار إلى ما صار إليه، ويأبى الواحد منهم أن يتتلمذ على يد الرجال الكبار الأكفاء، وربما أبى أن ينتصح بنصحهم، فهو يتعامل معهم من منطلق الندّية في العمل، لذلك تراه يباشر عملاً مستقلاً ولم يتأدَّب بعدُ بآداب المهنة، ولم يتخلَّق بعدُ بأخلاق أصحاب العمل.

كان تاجراً كبيراً في واحدٍ من أسواق دمشق، وكان ابنه أجيراً عنده مع عدد من الأجراء، كان الابن يرى والده الشيخ الكبير بين الحين والآخر ينزل إلى سوق الخضار ليشتري حاجات بيته، ثم يخرج ماشياً حاملاً أغراضه بكلتا يديه من سوق الخضار إلى المنزل

على بعد المسافة بينهما، يعجب الابن لماذا يَدَعُ والدُه السيارة مركونة أمام المتجر ليخرج حاملاً أغراضه من سوق الخضار ماشياً باتجاه البيت!! ثم لماذا لا يرسل أحد الأجراء؟! أو لماذا لا يرسل ابنه في هذه المهمة؟! سأله مرة: لم تفعل هذا الأمر؟ قال الأب التاجر المعلم الكبير: «يا بني، هذه النفس لابد لها من تأديب وتربية بين الحين والآخر، فإذا رأيتُ في نفسي كبراً على أحدٍ من الخلق أدَّبتُها بالفعل الذي رأيته حتى أبقى متخلقاً بأخلاق الصالحين»، إنه درس في الأخلاق يفوق كل دورات المبيعات، وكل دورات التسوق.

الطريق الثاني: الصاحب الصادق

اصحب صديقاً صدوقاً حسن الأخلاق، واطلب منه النصيحة فيما يرى فيك من عيوب، فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «**رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي**».

فالصديق الحقيقي هو الذي يهدي إليك عيوبك، ويظهرها لك حتى تتفاداها، لا الذي يثني عليك على خطئك فيتركَك دون نصيحة أو إرشاد، فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه - على مكانته ورفعته - يسأل سيدَنا حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه صاحبَ سِرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين يقول له: «**يا حذيفة، أنت صاحب سِرِّ رسول الله ﷺ، فهل ترى عَلَيَّ شيئاً من آيات النفاق؟**»، فهو رضي الله عنه على جلالة قدره وعلو رتبته يتهم نفسه، ويسأل صاحبه وصديقه الصدوق: هل تجد فيَّ سوءاً أو عيبًا، لماذا يا ترى؟ حتى يصلح نفسه ويزكيها،

فما فائدة الصحبة دون مناصحة وإرشاد؟! لذلك انصح صاحبك إن أخطأ، وابحث عن صاحب ينبهك إذا أخطأت حتى تتحسن أخلاقك.

أخرج البيهقي في (السنن الكبرى) أن امرأة دخلت على السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت لها: يا أم المؤمنين، أكنت تعرفين زيد بن أرقم؟ قالت: نعم، قالت: فإني بعته جارية إلى عطائه بثمان مئة نسيئة، وإنه أراد بيعها فاشتريتها منه بست مئة نقداً - حيلة على الربا - فقالت لها: «بئس ما اشتريت وبئس ما اشترى، أبلغي زيداً أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إن لم يَتُبْ»(١).

فالصديق الصدوق هو الذي يذكّرك إذا نسيت، ويعينك إذا أحسنت، ويبصّرك عيوب نفسك، أما الصاحب الفاسد والصديق المداهن فيخفي عنك عيوبك، وما يزال يمدحك حتى تعظم عندك نفسُك، فهو يكذب عليك ويخدعك، وربما نسيت فلم يذكّرك، وربما ذَكَرْتَ فلم يُعِنْك.

ولعل في صندوق الشكاوى والملاحظات الذي يضعه بعضنا في معمله أو متجره أو في دكانه **فائدة عظيمة** في معرفة الإنسان عيوبه. لعل إنساناً يخجل أن يحدثك لوجهك فيكتب ما يريد في ورقة ويضعها في هذا الصندوق، ولعل عاملاً من العمال ظلمتَه ولم يستطع أن يقابلك أصلاً فيكتب مظلمته ويضعها في الصندوق، لعل

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى، ٥/ ٣٣٠.

عميلاً من العملاء، أو زبوناً من الزبائن، أو مراجعاً من المراجعين يرى فيك عيباً من العيوب ولا يستطيع أن يحدثك مباشرة فلعله كتب هذا الكلام على ورقة ووضعه في هذا الصندوق، فالنصيحة واجبة لكل مسلم.

عن زياد بن عِلاقة قال: سمعت جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الله رضي الله عنه يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الْآنَ، ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فقُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، **فَشَرَطَ عَلَيَّ**: «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ»[(١)].

الطريق الثالث: الخصم

احرص على معرفة عيوب نفسك من ألسنة خصومك ومخالفيك؛ لأن عين السخط تبدي المساوئ، قال الشافعي:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

فسخط الخصم يُظهِر مساوئك أمامه؛ لأنه ينظر إليك بعين الناقد الحاقد الذي يفتش عن العيوب، فلا بأس أن تسمع منه ما رأى فيك من عيوب، وأن تأخذ منه ما تراه صحيحاً في المسألة؛ لأن انتفاع الإنسان بخصم يذكِّره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه بما ليس فيه ويخفي عنه عيبه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٨)، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٧).

الطريق الرابع: المخالطة

خالط الناس، فما رأيته مذموماً فيهم فطَالِبْ نفسك بتركه وتجنبه، فطباع الناس تتقارب، ولعلك تبغض في الناس خصلة قد ابتُلِيتَ بها ولم تدرِ؛ لأن النفس تُجمّل للإنسان أخطاءه.

فهذه هي الطرق الأربعة التي تعرّف الإنسان عيوبه:

(المعلم، والصاحب الصادق، والخصم، والمخالطة).

في الختام:

المطلوب العملي من هذا الفصل: راعِ في عملك وفي سوقك التجاري خمس وصايا أخرى تُعنَى بالأخلاق:

١- **كن صدوقاً في معاملة المُراجع أو المريض أو المستهلك أو الموكل، واعفُ عن إساءته،** فربما يسيء هذا المريض أو الموظف أو الموكل أو هذا المستهلك، ألا تحب أن يعفو الله عنك؟ فاعفُ عنه.

٢- **كن وفياً بالكيل والميزان، فالوفاء بالكيل والميزان خلق المسلم.**

٣- **كن سمحاً في بيعك وشرائك، واقبل رد السلعة وإقالة النادم ما دام الرد لا يضرك،** جبراً بخاطره وتفريجاً لكربته، وإقالةً لعثرته.

٤- **بيّن عيب السلعة عند بيعها ولا تخفِه.**

٥- **وثّق العقود لضمان الحقوق ولا تترك شيئاً من غير كتابة.**

الفصل الثالث

كيف تكسب الأخلاق الحسنة

قال الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدِّين): «**الخُلُق الحَسَن صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصِّدِّيقين، وهو على التحقيق شطر الدِّين، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين.**

والأخلاق السيئة: هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمغازي الفاضحة، والخبائث المبعدة عن جوار ربِّ العالمين، المنخرطة بصاحبها في سِلْك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تتطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة: هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن».

فالأخلاق الحسنة في العمل تُقَرِّبك إلى الله، والأخلاق السيئة في العمل تباعدك عن طريق الله تعالى.

كتب أحد المهندسين في مجلة علمية صناعية يقول: «**يتحدث الجميع وبقلق متزايد عن الأزمة الاقتصادية ومدى استمرارها، والحقُّ أنه توجد أزمة أخلاقية هي من أهم أسباب الأزمة**

الاقتصادية»، ثم راح هذا المهندس يعدد بعض الأمثلة العملية الدالة على هذا الأمر:

المثال الأول: يُعمِلُ الصناعيُّ والتاجرُ عقلَه لإقصاء الآخر من السوق ليتسنى له التفرد بالسوق بدلاً من التنافس الشريف! يتجلى ذلك من خلال التزاحم معه على نفس المنتج بدلاً من إدخال منتج آخر بمواصفات أفضل.

المثال الثاني: العمل بأسلوب الكائنات الطفيلية التي تعيش على جهد الغير؛ من خلال سرقة جهد زميله الصناعي بتقليد منتجه الذي قام بتصميمه ودراسته وإجراء التجارب عليه وتسويقه والترويج له، ليأتي من يحصّل الثمرة من غير أن يكون له أي جهد في زراعتها، الأمر الذي يقتل الإبداع، ويدفع الصناعي إلى الإحجام عن بذل أي شيء في التطوير والتحديث؛ لأن ثمرة ذلك ستعود لغيره، وتكون نتيجة ذلك المساهمة في تخلف المجتمع.

المثال الثالث: عدم الالتزام بمواعيد التسليم بسبب التعاقد على صفقات فوق طاقة المُنْتِج مع عِلْمِه بعدم إمكانية الوفاء، الأمر الذي يضر بمصداقية الجميع.

المثال الرابع: عدم الالتزام بالنوعية والسوية المتفق عليها مع الزبون بدافع الطمع والجشع، أو لعدم القدرة على التصنيع بالسوية المتفق عليها، مع علم المُنْتِج بذلك منذ البدء بالعقد، فهو يتبع مبدأ (اضرب واهرب)، الأمر الذي سيزعزع ثقة الزبون بالمنتجين المحليين في البلد، ومن ثم سيعود ضرر ذلك على الجميع.

المثال الخامس: دفع المستهلك إلى شراء ما يعجز عن سداد ثمنه من خلال التساهل بالدفعة الأولى، فإذا ما أدركنا حقيقة الأزمة الأخلاقية التي نُعانيها وجب علينا أن نبدأ بمعالجة أنفسنا وأخلاقنا، ثم ننطلق بعد ذلك لمعالجة أمر الاقتصاد.

من هنا سنتحدث عن طرق علاج الأخلاق السيئة، والتحلي بالأخلاق الحسنة.

أخرج البيهقي من حديث علي ﷺ أن رسول الله ﷺ لما أتي بسبايا طيئ وقفت جارية فقالت: يا محمد، إن رأيتَ أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولا يردُّ طالبَ حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيئ، فقال النبي ﷺ: «**يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحَّمنا عليه، خَلُّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق**»، فقام أبو بردة بن نيار ﷺ، فقال: يا رسول الله، الله عز وجل يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنة أحد إلا بحُسنِ الخلق**»[1].

فالله تعالى يحبك عندما تصدق في موعدك في سوقك التجاري، ويحبك عندما تلتزم بكلمتك، ويحبك عندما ترحم الزبون، ويحبك

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٣٣.

عندما تتعامل مع أمثالك في السوق تَعامُلَ الكرام لا تَعامُلَ اللئام والخصام...

مكارم الأخلاق في كل مكان هي ركن ركين من هذا الدِّين، وبغير أخلاق لا نرقى أبداً لا أفراداً ولا أُسَراً ولا جماعات.

وهناك أربعة طرق تعين على اكتساب الأخلاق الحميدة والآداب الرفيعة، إذا أردت أن تعلو بأخلاقك، وأردت أن تتخلى عن الأخلاق السيئة التي عَلِقَتْ بك فالزم ما يلي:

أولها: المعلم

اتخذ لنفسك معلماً مربياً يريك عيوب نفسك ويبصرك في تهذيبها، فإن الذي صنع أبا بكر الصديق إنما هو معلِّمه سيدُنا محمد ﷺ، ولولا المعلم رسول الله ﷺ لما قرأنا عن رجل اسمه أبو بكر. والذي جعل من عمر فاروقَ الإسلام إنما هو معلِّمه سيدُنا محمد ﷺ بعد فضل الله تعالى.

ثانيها: الصاحب

اصحب صديقاً صدوقاً خلوقاً وأديبًا؛ لأن الأفعال الحميدة والأخلاق الفاضلة تُكتَسَبْ بمشاهدة أرباب الفِعَال الجميلة ومصاحبتهم.

قالوا: (**الطبع يسرق من الطبع**):

تكون مع صاحبك في السيارة، فيشاهد امرأة عجوزاً تقف على

طرف الرصيف تريد أن تعبر الشارع، فإذا بهذا الشاب الأديب يوقف السيارة ويشير إلى هذه المرأة أن تفضلي، سيبقى هذا الموقف في ذهنك، وتطبقه إذا ما ركبت سيارتك.

ربما رأيت إنساناً بلا أدب يقود سياته، فيرى فتيات يردنَ أن يعبرنَ الشارع، وإذا به يقرع "الزمور" بصوتٍ عالٍ، أو يُلقي عليهنّ كلمات ساقطة حتى يضحك هو ومن حوله، إذا كان أصحابك على هذا النحو فستنحو بدورك هذا المنحى.

لعلك تصاحب شاباً إذا مرَّ أمامه رجل كبير وقف احتراماً لسنّه وكبره، غداً إذا مرَّ أمامك رجلٌ عجوز ستقوم كقيام ذلك الشاب، لكنك إذا كنتَ تصاحب شباباً لا يحترمون كبيراً ولا صغيراً سيُعدُونك بأخلاقهم السيئة.

الصاحب دواء نافع لتحسين الأخلاق، لأن الأفعال الحميدة والأخلاق الفاضلة تُكتَسب بمشاهدة أصحاب الأخلاق الجميلة ومصاحبتهم، وهم قُرناء الخير، وقُرناء الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخير جميعاً.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْه رِيحاً خَبِيثَةً**»[1].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم في كتاب البر والصلة (١٤٦).

ثالثها: مجاهدة النفس

نفسك - كنفسي - لا تحب الأخلاق الجيدة، تحب أن تتفلَّت من كل ضابط، وتحب أن تجلس كيف شاءت، وأن تنطق كيف شاءت، وأن تأكل كيف شاءت، وأن تضحك متى شاءت، فالنفس لا تحب الانضباط، وإن أنت ألقيت لنفسك الحبل على الغارب ساء خلقك، لكنك إذا ما جاهدتَها وغالبتَها حتى تنضبط بالأخلاق الحسنة كان ذلك دواء نافعاً للتحلي بمعالي الأخلاق، فجاهد نفسك الأمارة بالسوء واحمِلْها حملاً على فعل الخير، وترك القبيح وانضبط بالأدب والشرع حتى يصيرَ الخيرُ عندها عادة.

قال الإمام الغزالي: «**فمن أراد أن يحصِّل لنفسه خُلُق الجود فطريقه أن يتكلّف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلّفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له، ويتيسر عليه فيصير به جواداً، وكذا من أراد أن يحصّل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو فيها مجاهدٌ نفسَه ومتكلِّفٌ إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً، فيتيسر عليه**»[1].

رابعها: الدعاء

سل الله تعالى أن يهبك الأخلاق الحسنة، لأن من الأخلاق الحسنة أخلاقاً هي منائحُ من الله تعالى، وإذا أحب الله عبداً مَنَحَه خُلقاً حسنًا، وإذا أبغض الله عبداً منحه خلقاً سيئًا.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٨.

كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم اهدني إلى أحسن الأخلاق لا يهدني لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّي سيئ الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(١).

وكان يدعو أيضاً فيقول: «**اللهم حسَّنت خَلْقي فحسِّن خُلُقي**»(٢)، فجميل أن يكون شكلك حسنًا، لكن الأجمل أن يكون خُلُقك أحسن.

هذه هي الطرق الأربعة لمعالجة الأخلاق السيئة واكتساب الأخلاق الحميدة:

١- المعلم

٢- الصاحب

٣- مجاهدة النفس

٤- والدعاء

وفي ختام هذا الفصل أعرض المطلوب العملي منه وهو استمرار للنتيجة العملية للفصلين السابقين.

راعِ في عملك في سوقك التجاري خمس وصايا:

١- احترم زملاءك في المهنة

إن كنت تاجراً فاحترم التجار الآخرين، وإن كنت صانعاً فاحترم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (٢٠١)، والترمذي (٣٤٢١)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٠٣ برقم (٣٢٣)، وصححه ابن حبان في باب الأدعية (٩٥٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٣): أخرجه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير عوسجة بن الرماح، وهو ثقة.

الصناع الآخرين، وإذا كنت طبيباً فاحترم الأطباء الآخرين، وإن كنت موظفاً فاحترم الموظفين الآخرين، احترم زملاءك في المهنة وتعامل معهم بإحسان تجد منهم خيراً كثيرًا.

٢- كن أميناً في تقييم زملائك في المهنة

إذا أتاك من يسألك عن أخبار جارك أو زميلك في العمل كن أميناً وصادقًا، ولا تقل فيه إلا الصدقَ والحقَّ، واعلم بأن الله يسمعك ويسجّل عليك: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩/٤٣].

٣- تبادل الخبرات مع زملائك وتجنب الإضرار بهم

لا تُغرِق الأسواقَ ببضاعة ما إضراراً بفلان، ولا تفتح محلاً من أجل كسْرِ محلّ فلان، لا تبني معملاً أمام معمل فلان من أجل إلحاق الضرر به، فثمَّةَ قاعدةٌ شرعية عريضة تنص على حرمة هذه الفعال القبيحة، هي حديث سيدنا محمد ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(١)]، فتجنَّب الإضرار بالآخرين.

٤- اجتنب الاحتكار واعمل على رفعه إن وُجِد.

٥- ساعد أفراد مجتمعك مالياً ما أمكن.

(١) أخرجه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٢٣٤٠)، وأحمد (٥/ ٥٥/ ٢٨٦٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

الفصل الرابع

ثمرات مكارم الأخلاق

ماذا تستفيد إذا التزمت بأخلاقيات العمل، وإذا استفدت من الأخلاق عامة فماذا ستثمر هذه الأخلاق؟

بينما عمر رضي الله عنه يعسُّ بالمدينة، إذ مرّ برحبة من رحابها، فإذا هو ببيت شَعَرٍ لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعدًا، فدنا منه فسلّم عليه، ثم قال: من الرجل؟ فقال: رجل من أهل البادية جئت أمير المؤمنين أصيب من فضله، فقال: ما هذا الصوت الذي أسمعه من داخل البيت؟ قال: انطلق يرحمك الله لحاجتك، قال: على ذاك ما هو؟ قال: امرأة تَمَخَّض، قال: عندها أحد؟ قال: لا، فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها: هل لك بأجر ساقه الله إليك؟ قالت: ما هو؟ قال: امرأة غريبة تَمخَّض ليس عندها أحد، قالت: نعم، إن شئتَ، قال: فخذي معك ما يُصلحُ المرأةَ لولادتها من الخِرَق والدّهن، وجيئيني ببُرمة وشحم وحبوب)، قال: فجاءت به، فقال: انطلقي، وحَملَ البُرمة، ومشَتْ خلفه حتى انتهى إلى البيت، فقال لها:

ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال: أوقِد لي ناراً، ففعل، فأوقد تحت البُرمة حتى أنضجها، وولَدت المرأة، فقالت امرأة عمر: يا أمير المؤمنين، بشّر صاحبك بغلام، فلما سمع: (يا أمير المؤمنين) كأنه هابه، فجعل يتنحّى عنه، فقال له: مكانك كما أنت، فحمل البُرمة فوضعها على الباب، ثم قال: أشبعيها، ففعَلَت، ثم أخرجَت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر رضي الله عنه فأخذها ووضعها بين يدي الرجل، وقال: كُلْ وكُلْ، قد سهرتَ من الليل، ففعل، ثم قال لامرأته: اخرجي، قال للرجل: إذا كان غداً فائتنا نأمر لك بما يصلحك، ففعل الرجل فأجاره وأعطاه.

إن تحلَّيت بمكارم الأخلاق جنيتَ أربع ثمار:

أولاها: محبة الله تعالى

وأيّةُ منزلة يطمح إليها أحدُنا أعلى من محبة الله تعالى؟ كلنا نحب الله تعالى، ولكن مَن مِنّا يحبه الله تعالى؟

أخلاقيات العمل: صدقك في الوعد، ووفاؤك في القول، وبرك في اليمين، وجلب المنفعة للزبون... بابٌ لمحبة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٩٥، والمائدة: ٥/ ١٣].

فالإحسان خُلُق عظيم، منه: أن تُحسِنَ إلى الزبون، وأن تحسن إلى البائع، وأن تحسن إلى الأجير، وأن تحسن إلى المستأجر،

وأن تحسن إلى العقار الذي تستأجره، وأن تحسن إلى المُراجع، وأن تحسن إلى الطبيب، وأن تحسن إلى المريض، وأن تحسن إلى المخلوقات كلِّها، لأن الله يحب المحسنين.

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٥/٤٢]، أي الذين يعدلون في بيعهم وشرائهم، إذا اشترى الواحد منهم لا يظلم البائعَ، وإذا استأجر لا يظلم صاحبَ العقار، وإذا أَجَّر لا يظلم المستأجرَ لأن الله يحب المقسطين.

وفي آل عمران: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣/١٤٦]، وهل الإحسان والعدل والصبر إلا من مكارم الأخلاق؟

قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ عباد الله إلى الله أحسنُهم خلقًا**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها**»(٢).

ثانيتها: محبة رسول الله ﷺ والقرب منه يوم القيامة

قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً**

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٨١/ ٤٧١)، من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٤٠/ ٨٠١١)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٨١/ ٥٩٢٨)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجال الكبير ثقات.

يوم القيامة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**أحاسنكم أخلاقًا**»[١].

فمهما حَسَّنت أخلاقك في بيعك وشرائك ووكالتك...، وفي كل معاملاتك في السوق التجاري أَحَبَّكَ سيدنا محمد ﷺ، فأخلاقك التجارية الحسنة، وتحلّيك بأخلاقيات العمل، بالصدق في القول، وبالوفاء في مواعيد التسليم، وبالأمانة في اختيار الأفضل للزبون، وبقضائك لحاجة المُراجع تقرباً إلى الله، وبتسديدك الدفعات المترتبة عليك في الوقت المحدد، وبنصحك في البضاعة... تنفع الناس وتنال بها حبَّ رسول الله ﷺ، وقربه يوم القيامة.

ومن المتعارف عليه أن المتجالسين يتجانسان، يجالس الرجلُ الصالحُ الرجلَ الصالح لأنهما متجانسان، يجالس الفاجرُ الفاجرَ لأنهما متجانسان، ويجالس الغنيُّ الغنيَّ لأنهما متجانسان، ويجالس الطالبُ المجتهدُ الطالبَ المجتهدَ لأنهما متجانسان...، فمَنْ منا سيجالس سيدنا محمداً ﷺ؟؟

أخلاق رسول الله ﷺ في أعلى الأخلاق، فإن رفعتَ السوية في أخلاقك العملية صرت قريباً منه ﷺ يوم القيامة، وإذا أردت أن تجالسه في الآخرة فجانسه في الدنيا بحسن أخلاقك حتى تستطيع الجلوس قربه في الجنة.

سُئِلَت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان خُلُقُ رسول الله ﷺ؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: حديث حسن، والبغوي في شرح السنة: (١٢/ ٣٦٦/ ٣٣٩٥).

فقالت: «**كان أَحسَنَ الناسِ خُلُقاً، لم يكن فاحشاً ولا مُتَفحِّشاً، ولا صخَّاباً بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح**»(١).

وعند النسائي والحاكم من حديث يزيد قال: قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين، كيف كان خُلُقُ رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان خُلُقُ رسول الله ﷺ القرآن، فقرَأتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١/٢٣]، حتى انتهت: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩/٢٣]، قالت: هكذا كان خُلُقُ رسول الله ﷺ»(٢).

ما معنى أن تكسب مئات الألوف من الليرات وأخلاقك سيئة، فإن متَّ كنتَ أبعدَ الخلق عن رسول الله ﷺ وأبعد الخلق عن حضرة الله تعالى؟؟

وما معنى أن تجمع الملايين من غدرك بالناس في الأسواق التجارية وأنت تخاف في كل لحظة أن تدور عليك الدوائر في الدنيا أو في الآخرة؟؟

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خُلقًا**»(٣).

ولما أراد الله تعالى وصف أخلاق نبيه ﷺ قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤/٦٨].

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ٦/٢٣٦، وابن حبان في صحيحه، ١٤/١٠٨.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، ٦/٣٨٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٣/٢٤٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم في كتاب الفضائل (٩٣).

قال المفسرون: في هذه الآية خمسة مؤكدات:

١- قوله: ﴿وَإِنَّكَ﴾، و(إنَّ) حرف مشبه بالفعل يفيد التأكيد.

٢- وقوله: ﴿لَعَلَىٰ﴾ ولم يقل (وإنك على) هذه اللام تفيد التأكيد.

٣- وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ ولم يقل: (إنك ذو خلقٍ) وحرف (على) حرف جر يفيد الاستعلاء، أي: إن رسول الله ﷺ تخلَّق بالأخلاق الحسنة حتى علاها وتمكن منها جميعاً.

٤- وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾، وكلمة ﴿عَظِيمٍ﴾ تتناسب مع قائلها.

٥- ثم إن الجملة الاسمية تفيد التأكيد.

فمهما أردت أن يحبك سيدنا محمد ﷺ وأن تقترب منه فعليك بحسن الخلق.

ثالثتها: الجنة والأجر الكبير

لماذا يصلي كل المصلين؟ ولماذا يحج كل الحجاج؟ ولماذا يصوم كل الصائمين؟ ألسنا نطمع جميعاً بدخول الجنة؟ ألسنا نطمع بأن نُزَحْزَحَ عن النار؟

ثمرة الأخلاق الحسنة في العمل دخول الجنة والأجر الكبير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «**أتدرون ما أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ الجنة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**تقوى الله وحُسْنُ الخلق**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح، وأحمد (١٥/ ٤٣٥/ ٩٦٩٦)،.

فالخُلُق الحَسَن من أكثر ما يُدخِل الناس الجنة، وليس ذلك فحسب، بل إن حسن الخلق يرتقي بالعبد إلى مرتبة عالية من العبودية، وقال النبي ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم**»(١).

قد تجادل في بعض الأحيان بائعاً أو موظفًا، وتجد من نفسك أن هذا الجدال عقيم لا مصلحة منه تُحصّل، ولا فائدةَ منه تُرجَى، لذلك أعرض عن الجدل، واعلم أن النبي ﷺ قال: «**أنا زعيمٌ** - أي كفيل - **ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّنَ خُلُقَه**»(٢).

بيتٌ في أعلى الجنة يضمنه سيدُنا محمد ﷺ لك، إذا التزمت بأخلاقيات العمل، لكن إذا مشيت مع ما يمشي عليه أهلُ الشارع من الأخلاق السيئة، والتعاملات الفاسدة، فإنك ستخسر هذه الرتب العالية في الدنيا والآخرة.

رابعتها: الأخلاق الحسنة سبب في زيادة الأعمار والأرزاق وإعمار الديار

فالبلاد تعمر بالأخلاق الحسنة، وينهدم البيت على رأس صاحبه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وأبو داوود: (٤٧٩٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠)، والطبراني في الكبير (٨/ ٩٨/ ٧٤٨٨)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

بأخلاقه السيئة، وتنهدم شركة من أكبر الشركات بالأخلاق السيئة، فالخلق الحسن يزيد الرزق، ويعمر الدار، ويبارك في الصحة والعافية.

فكم من رجل هدم داره وشتت أسرته وفرَّق شملها لمّا طَلَّق زوجته بسوء خُلُقه أو لسوء خُلُقها، وكم من شاب نال رتبة وظيفية عالية في شركته أو معمله بحسن خلقه لا بعلوِّ شهادته، فَرَقى في السُّلَم الوظيفي حتى صار نائباً عن المدير، وربما زوّجه المديرُ ابنتَه، وَمَلَّكَهُ.

فحُسْنُ الخلق يزيد الرزق، وقديماً قالوا: «**سعة الأخلاق كنوز الأرزاق**»، وفي الأثر قالوا: «**اليُمْنُ حسن الخلق**» والبركة تأتيك من حسن الخلق، فكم من صاحب متجر لم ترجع إليه مرة ثانية لسوء أخلاقه مع أن بضاعته جيدة، وكم من صاحب متجر رجعت إليه مرات ومرات لحسن تعامله مع زبائنه وطلاقة وجهه مع الناس...

ثم إن الصادق الأمين البارَّ الوفيَّ مرتاح القلب هادئ البال، هو للصحة والراحة النفسية أقرب، أما الكاذب والخائن والمخادع فمشدود الأعصاب، مشغول البال، مضطرب، هو للمرض وللشدة النفسية أقرب، فأخلاقيات العمل تعطيك راحةً في نفسك وسلامة في صحتك، وسوءُ الأخلاق يؤدي إلى الشدة النفسية والأمراض البدنية.

هذه هي ثمرات مكارم الأخلاق الأربع: (**محبة الله، ومحبة**

رسوله سيدنا محمد ﷺ والقرب منه يوم القيامة، والجنة والأجر الكبير، وزيادة الأعمار والأرزاق وإعمار الديار).

وباختصار: فإنَّ خيري الدنيا والآخرة في الخلق الحسن مع الإيمان.

ختامًا: المطلوب العملي منك، في عملك وفي سوقك التجاري أن تراعي خمساً من الوصايا:

١- احرص على حماية البيئة بتجنُّب بيع المنتجات الضارة أو تصنيع المنتجات الضارة أو استيراد المنتجات الضارة، وإلا فالكرة الأرضية تسير نحو هاوية إن لم يتعاون الجميع.

٢- اجتنب العمل فيما حرمه الشرع من مسكرات ومن مخدرات ومفتّرات ورِباً ونحوها.

٣- لا تستخدم في إعلاناتك للمنتَج الصور الماجنة والخليعة:

أنت مسلم، ومنضبط بالشرع، لماذا تقبل أن يوضع على إعلانك صور فاضحة يستحي منها كل شريف لتنتشر بين أبنائنا وبناتنا؟ لماذا تعرض في الطرقات مع عرضك لمنتجك النافع والجيد صوراً لا يرضاها الشرع ولا يرضاها الشرف ولا ترضاها العفة؟!

فلا تستخدم في إعلاناتك للمنتج الصور الماجنة أو الخليعة، وكن صادقاً في الإعلان، فلا تذكر في المنتج ما ليس فيه، وإلا فإن المال الذي يدخلك يختلط بالحرام.

٤- اجتنب المراء والجدال والحسد والحقد في سوقك التجاري.

٥- راقب الله تعالى في عملك، واعلم بأن عملك معروض على الله:

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٥]، هذه القطعة الصناعية سيراها الله، وهذه السلعة التجارية سيراها الله، وهذه الأرض الزراعية سيراها الله، وهذه الحاجة الطبية سيراها الله، وهذه المرافعة في المحكمة سيراها الله، فاعلم بأن الله سيرى عملك ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ٩/ ١٠٥].

obeikandl.com